مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد الرابع/ العـدد الأول (جوان 2020)، ص 05– 20

ملامح أسلوبية في سورة المرسلات

Stylistic features in Surat Al-Mursalat

د/ لواني فضيلة ***dr. fadhila louani***

جامعةالجزائر 02– ***University of algiers -02***

الإيميل ***dr.fadila02@gmail.com***

د. لواني فضيلة ***dr. fadhila louani*** الإيميل: ***dr.fadila02@gmail.com***

تاريخ الاستلام:2019/10/16 تاريخ القبول:2019/10/26 تاريخ النشر:2020/06/13

ملخّص: تمثل الدراسة جانبا استكشافيا لغويا لملامح أسلوبية في سورة المرسلات المباركة، وما أشارت إليه من محاور عقائدية متعلقة بمخاطبة العقل وإعمال التأمل، ورصد أحوال يوم القيامة ونعيم المؤمنين، وعذاب الكفار، وقد بينت الدراسة الأسلوبية متمثلة في بعض الأساليب الإنشائية والإيقاعية أنماط الدلالات والمعاني التي حملتها الآيات الكريمة، و بيانا لمعالم الخطاب القرآني فيها.

كلمات مفتاحيّة: الأسلوبية، التكرار، العدول، الشرط، التأكيد.

Abstract: *The study represents a linguistic exploratory aspect of stylistic features in Surat Al-Mursalat Al-Mubarak. Precious, and a statement of the parameters of the Koranic discourse in them.*

Keywords: *Stylistic, Repetition, Resumption, Condition, Emphasis.*

Résumé: *L'étude représente un aspect exploratoire linguistique des caractéristiques stylistiques de la sourate Al-Mursalat Al-Moubarak. Précieux, et un énoncé des paramètres du discours coranique en eux..*

Mots-clés: *stylistique, iteration, repetition, condition, affirmation.*

1- مقدمة:

يعتبر النص القرآني كنزا للأساليب اللغوية المتقدمة في ذروة الصناعة البلاغية والأسلوبية اللغوية التي عرفها العرب في لغتهم، وبالغ الدقة في فن الإتقان الذي لا يمكن للعقل مهما بلغت حدته ودرجة عبقريته أن يتصور مبلغ الكمال الذي عني به هذا النص الرباني المقدس، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الأمر الذي استوقف علماء اللغة وفقهائها لدراسته ومعرفة أسراره والغوص في مكنوناته بما أتيحت لهم من آليات علمية معلومة لتلمس و إدراك ما خفي عنهم وما غاب عن أذهانهم طيلة الدراسات السابقة لهم،وذلك قصد الإحاطة بأصناف الأسرار التي خاطب بها القرءان الإنسان من خلال البحث والكشف عنها باستعمال أصناف المناهج الدراسة اللغوية المتقدمة.

وفي موضوع دراستنا الذي نتناول فيه سورة المرسلات المباركة المكية ،تقف وقفة متلمس لبعض الملامح الأسلوبية التي حملتها هذه السورة المباركة قصد معرفة المعاني التي وردت فيها، وصورتها وقدمتها، والمقاصد التي تظهر من خلال صور الخطاب ،وكيف وصف هذا النص الكريم معالم اليوم الآخر، ومصائر الكفار المكذبين الجاحدين، وما بينته الصيغ الأسلوبية في تضمين وتقديم هذه الصور ،وان كان قد تعرض إليها جمهور العلماء من المفسرين والبلاغيين والنحويين كل حسب رؤيته وتخصصه، ومقاصده التي يرمي إليها من وراء دراسته.

وكملمح وصورة فاحصة لهذه السورة القرءانية الكريمة المكية والتي تتبين حسب ما قرره علماء السلف من أهل التفسير هي سورة تهتم بمجال الأمور الخاصة بالعقيدة ،وذلك من خلال مخاطبتها للكفار الجاحدين الذين يكذبون بيوم الدين،فبينت صور اليوم الآخر والنظر في آيات الخلق للإنسان المكذب الكافر الجاحد،وصور العذاب المخصص للكفار يوم القيامة في وصف معجز موجز، وجزاء المؤمنين المتقين ،وحمل هذه الآيات الكريمة في قالب التكرار والتأكيد والتهويل والتعظيم ،وكلها آيات لمخاطبة عقل الإنسان حتى يستيقظ من الغفلة و قوقعة الجحود القاسية التي منعت رؤيته للحق ودفعه من وراء هذا الخطاب للخروج من مستنقع الأفكار الجاهلية القذرة التي حجبت عنه رؤية الحق ومعرفته، والاغتراف من منهله.

2 -.التسمية

سميت السورة المباركة بهذا الاسم "المرسلات" لورود كلمة المرسلات فيها، وابتدائها بها، شأنها في ذلك شأن الكثير من سور القرآن الكريم التي أخذت تسميتها بما ورد فيها من أسماء على حسب ما قرره أهل العلم، وهي من السور التي تعالج أمور العقيدة، وتبحث في شؤون الآخرة، ودلائل القدرة والوحدانية، وسائر الأمور الغيبية[1].

وقال الطبري في تفسيره بأنّها مكية إلا الآية "48" فمدنية[2]، فهذه السورة حادة الملامح عنيفة الشاهد، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة من نار وهي تقف القلب وقفة المحاكمة الربانية الرهيبة، حيث يواجه بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات، تنفذ إليه كالسهام المسنونة، وتعرض السورة من مشاهد الدنيا والآخرة وحقائق الكون والنفس، ومناظر الهول والعذاب ما تعرض وعقب كل معرض ومشهد تلفح القلب المذنب لفحة كأنها من نار ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾[3]، كما اقسم أو اختلف المفسرون حول كلمة المرسلات من ناحية المعنى والتعريف فالله سبحانه وتعالى ابتدأ السورة وافتتحها بالقسم بكلمة المرسلات، فمنهم من قال بأنها قسم بالملائكة التي خلع النص عليها سمة المرسلات، أو قسم بالرياح أو قسم بالأنبياء حسب تفاوت النصوص المفسرة لهذا القسم[4]، وهو ما أفاده حمود البستاني في تفسيره التفسير البنائي للقرآن الكريم وفيه تظهر الاختلافات في ضبط مفهوم الكلمة الدالة على التسمية للسورة ويضيف أيضا في قوله: "فإذا اتجهنا إلى الأقسام الأخرى وهي: العاصفات، الناشرات، الفارقات الملقيات، وجدنا أن كل واحد منها يكاد يستقل في دلالته بحيث يصعب القول بما ذهب إليه المفسرون من أنها تعني جميعا إما الملائكة أو الرياح أو الأنبياء لأن القسم بالمرسلات إذا كانت ملائكة فإنه لا ينسجم مع القسم بالعاصفات التي هي رياح بطبيعة الحال، كما أن القسم بالأنبياء لا ينسجم مع القسم بالعاصفات أيضا، وحينئذ يتعين كل قسم مستقل يحمل دلالة خاصة5، فالمفسر يشير في نهاية مناقشته لهذه المسائل الخلافية إلى ظواهر إبداعية وعبادية تظل بمرأى ومسمع من العباد يستثمرها في تثبيت إيمانه بالله وبرسالة الإسلام[6]، وقد ورد الاختلاف على عدم ضبط معناها الحقيقي على ألسنة الرعيل الأول كذلك كالفخر والرازي الذي أشار في تفسيره.

في تفسير المرسلات بقوله: "اعلم أن هذه الكلمات الخمس إما أن يكون المراد منها جنسا واحدًا أو أجناسًا مختلفة"7، فالكلمة الموسومة بالمرسلات اسم السورة المباركة بوجه عام من دون الوقوف على

المعنى الحقيقي المتفق عليه شأنها شأن الكثير من أسماء السور القرآنية الأخرى أو بعض الأحرف التي ابتدئ بها فيها.

3 –.التكرار:

يعد التكرار فنا لغويا قوليًا من أساليب العرب المعروفة كما يعد محاسن الفصاحة[8] التي تحدث عنها البلاغيون، وهي تعتبر ظاهرة لغوية عامة في اللغات والعربية بشكل أخص[9]، ومن الذين كان لهم الرأي في قضية التكرار من علماء البلاغة الأوائل الجاحظ الذي بين الفائدة منه في قوله: "إن الناس لو استغنوا عن التكرير— التكرار– وكفوا مؤونة البحث والتنقير لقل اعتبارهم، ومن قل اعتباره قل علمه ومن قل علمه قل فضله، ومن قل فضله كثر نقصه، ومن قل علمه وفضله وكثر نقصه، لم يحمد على خير أتاه، ولم يذم على شر جناه، ولم يجد طعم العز"[10].

وقد عرف بأوجه متعددة منها ما ورد على لسان ابن الأثير قائلا: "أما التكرار فإنّه دلالة على المعنى مرددا، كقولك أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد"5 أي تكرر المعنى مع تكرر ذلك اللفظ الواحد.

وقيل في تعريف آخر بأن التكرار هو عبارة عن الإتيان بالشيء مرة بعد الأخرى [11].

وكما أفاد به أبو هلال العسكري قائلا بأن "التكرار يقع على إعادة الشيء، وعلى إعادته مرات والإعادة للمرة الواحدة ..."[12].

فالتكرار إعادة اللفظ مرة أخرى في الكلام، ومنه إعادة المعنى، ومن وراء الإعادة التنبيه على أهمية الشيء المكرر ودلالاته، وقد حفلت سورة المرسلات المباركة بالتكرار في أوجه متعددة والتي تتضح من ورائها سمات أسلوبية متنوعة، تبعًا للتكرار الحاصل في نص السورة الكريمة، والتي أمدتها بقوة تعبيرية دقيقة، تمثلت بإعادة وترديد الآية نفسها "العبارة" وبالحرف "الصوت"[13].

فأما تكرار الآية فتمثل في ترديد قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[14] التي تكررت عشر مرات في ترتيب أرقام الآيات الآتية "،15، 19، 24، 28، 34، 37، 40، 45، 47، 49"، ومثلها الآية من قوله تعالى: ﴿ يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ التي تكررت ثلاث مرات في ترتيب أرقام الآيات الآتية: "15 14، 38"، وصورة التكرار في هذه الآية أن الآيتين "13، 14" متعاطفتين، أمّا الآية الموالية ففي موضع آخر، وتبرز القيمة الأسلوبية لهذا التكرار في تحديد أداء وظيفة التهويل للمكذبين المجرمين والاتعاظ بما حال بالأقوام الهالكة التي أشارت إليها السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾[15]، من عذاب وبما حملته

السورة كذلك من صور الإخبار بمشاهد يوم القيامة، وإلى ذلك أشار الزمخشري في فائدة التكرار بقوله: "أن يجددوا عند سماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارًا وإيقاظًا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو، ولا تستولي عليهم الغفلة..." [16]، فالقيمة الأسلوبية لهذا التكرار وفائدته تتمثل في إظهار جانب التنبيه والتذكير والوعيد، والتهديد، لمن كذب وخالف.

أما التكرار الذي اختص بالآيات الثلاثة الموالية التي اختصت بذكر يوم الفصل فقد احتمل دلالة التهويل، والتعظيم، فالتكرار الحاصل في سياق الآيتين المتعاطفتين من قوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ۞وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[17]، هو من صنف التهويل المتحدث عنه، كما أشار إلى ذلك محمد علي الصابوني في الصفوة في تفسير هذه الآية قائلا: "استفهام للتعظيم والتهويل أي وما أعلمك أيها الإنسان بيوم الفصل وشدته وهوله، فإن ذلك اليوم أعظم من أن يعرف أمره إنسان، أو يحيط به عقل أو وجدان، ووضع الظاهر "ما يوم الفصل" مكان الضمير "ما هو" لزيادة تفظيع وتهويل أمره، قال الإمام الفخر :"عجب العباد من تعظيم ذلك اليوم، فقال لأي يوم أجلت الأمور المتعلقة بهؤلاء الرسل، وهي تعذيب من كذب بهم وتعظيم من آمن بهم"[18]، فالقيمة الأسلوبية من وراء هذا التعظيم والتهويل هي وضع العقل أمام صورة ذلك اليوم الذي تظهر فيه الحقائق من دون حجاب، وعلى دقائقها التي لا تقبل التشكيك أو النكران.

فالبلاغ بهذا الأسلوب حَثٌ للعقل المنكر على ضرورة التراجع والتفكر والتيقظ من جديد، والتبصر بالحقائق كما أشار بذلك الله تعالى في نهاية سورة إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[19].

أما تكرار الصوت أو الحرف ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ۞وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾20.

نلمح تكرار صوت "السين" موزعًا على الكلمات في ألفاظ "طمست، السماء، نسفت، الرسل" وقد تكررت هذه الأصوات في سياق الآيات الواردة بوضوح للإسهام العضوي الذي يحققه صوت "السين" من دلالات مرتبطة بالمحصلة المعنوية لهذه الآيات بانتخاب عبارات مخصصة بأهوال الساعة، فجاء تكرار الحرف في سياق متناسق محكم الذكر والدلالة خاصة وأنّه وارد في مجال الكلام عن وصف مشاهد يوم القيامة.

كما نجد توزع تكرار حرف "الراء" في أكثر من موضع "أكثر من ثلاثين مرة" فضلاً عن انتظامه "سجعة" في بعض آيات السورة الكريمة، فصوت "الراء" صوت تكراري يحدث نتيجة تكراره وضرباته المتكررة من اللّسان على مختلف مواضع الفم الداخلية، ومن بين صوره التكرارية الدّلالية أنه يوحي بتكرار العذاب على المنكرين المكذبين في أكثر الآيات المكونة للسورة، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾[21]، وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾[22]، ولم تنتقل القيمة الأسلوبية للراء من الصفة الرادعة الهادرة إلى الصفة الوادعة المطمئنة إلا في سياق الآية الكريمة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[23].

فالميزة الخاصة بأسلوبية "الراء" في السورة الكريمة أبرزت تكرارها بين صور منها العذاب والثواب فالأول بصفة بالغة والثاني بصفة قليلة.

4 – .الشرط:

الشرط في العربية هو أسلوب مخصوص، ينبغي أن يدرس عن غيره، ويتكون من جملتين ترتبط كل منها بالأخرى ارتباطا وثيقًا، وتكون إحداهما شرطا وسببًا في حدوث الأخرى[24].

وكما هو معروف أن الجملة الشرطية لها وسم خاص في تركيبها، فهي لا تشبه التصور والمفهوم الاعتيادي للجملة المعروفة بالشكل العام، ولا تستوي معها في طريقة التشكل، وإنما تقوم في جوهرها على وجود جملتين لا تستقل إحداهما عن الأخرى معنى أو تركيبًا، فهي تقتضي بالضرورة الاعتماد على جملتي الشرط والجواب معًا[25]، فالشرط خاصية التركيب بهذا الوجه ومتميز به.

وممّا ورد في دلائل الإعجاز للجرجاني مبينا لطبيعة الشرط قوله: "أن الجملة المعطوفة على جملة الشرط في قوله تعالى:﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[26]، داخلة في الشرط وهو فيهما معا"[27].

ومما جاء من الشرط في سورة المرسلات المباركة هو قوله تعالى في بداياتها ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ " وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ " وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ" وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾[28] فقد ورد الشرط في الآيات المذكورة بصفة متسلسلة متعاطفة، وقد كرر في كل منهما، ولم يأت بها جميعًا إلا جواب واحد وهو وروده في قوله تعالى "ليوم الفصل"، وقد افتتحت الآيات الكريمة المتعاطفة كلها بذكر أداة الشرط "إذا" وهي شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب عن كثب وتشوق ما سيأتي بعده من إخبار، خاصة وإن صورة التكرار وردت في سياق الإطناب، فإعادة وتكرير أداة الشرط في الآيات الكريمة بعد واو العطف هو

إطناب مقصديته هو التهويل كما أن إعادة أداة الشرط "إذا" هو إشارة أسلوبية إلى أن مضمون كل آية مستقل بحصول جملة الجواب عند وقوعه، بلغت النظر عن النجوم التي أزيلت من مكانها والسماء التي فرجت وتغير شكلها، والجبال التي لم يبق لها أثر، فهذه أنماط تصويرية تقريرية لما يحدث في اليوم الآخر حتى يدركه المكذبون المنكرون، فالشرط أبرز بتكرره قيمة أسلوبية تتمثل في نقل مشاهد يوم القيامة وصورها مطابقة في شكل تخيلي يمكن للعقل أن يتصوره في زمنه، حيث كان ينظاف إليها عظيم الحدث مرات مضاعفة عما يمكن أن تحمله صورة عقل الإنسان الطبيعي.

– 5. **الاستفهام:**

وهو طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وطلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصةوالاستفهام واحد من أكثر الأساليب الإنشائية استعمالاً وأهمية، ويراد به كذلك طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الذهن[29] وقد ورد الاستفهام في سورة المرسلات المباركة في الآيات الآتية من قوله تعالى:

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾[30]
- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾[31]
- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾[32]
- قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[33]

مما هو ملاحظ أن الاستفهام الوارد في الآيات قد جاء بصور مختلفة المضمون وإن اشتركت وتوحدت أداة الاستفهام مع الكلمة الداخلة عليها في قوله تعالى: "ألم" لكنها تشترك في وحدة الخطاب وهي التذكير وطلب الإتيان بالجواب الوحيد بعد استنفاد كل سبل الإجابة الأخرى، فما بقيت إلاّ إجابة الإقرار بالحق، فمن وراء هذا الاستفهام النطق بالحقيقة، والاعتراف بها أمام الأدلة الدامغة التي لا تقبل الشك بحال[34]، وهنا تتضح صورة أسلوبية الاستفهام في الآية الكريمة الأولى التي تظهر في دلالة الإخبار عن حقيقة إهلاك الأمم السابقة أي الاستفهام التقريري.

وهو نفسه يتكرر في سياق الآية الثانية التي ورد فيها الاستفهام والتي تتمثل دلالته في صورة التقرير، والذي يماثله استفهام الآية الثالثة، فتكرر الاستفهام في سياق الآيات الثلاثة المترادفة المتعاطفة وهي في سياق مجموعة أسئلة لإيقاظ عقول المكذبين، وتكذيبهم لصور المعجزات التي تساير حياتهم من كيفية

الخلق من ماء مهين، وإهلاك الأولين، وتسخير الأرض[35]، فكيف بهم يكذبون باليوم الآخر؟ فالذي أنجز تلك الأعمال من الخلق، والإهلاك، والتسخير له القدرة كذلك على إنهاء الخلق والكون كيفما شاء.

أما الاستفهام الوارد في الآية الكريمة ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[36]، فتنتقل الصورة الأسلوبية فيه من التساؤل إلى التعجب من الكفار المكذبين، وبينت صورة هذا التعجب من الاستفهام أن الكفار إذا لم يؤمنون بهذا الكلام: أي القرآن الصادق والدلائل اللطيفة مع وضوحها وتجليها فهل تراهم يؤمنون بشيء آخر، مع أنهم يبصرون هذا التبصير، وينذرون هذا النذير[37]، فالصور التي أتت بها السورة الكريمة تهز النفس والعقل، فالاستفهام يكشف مدى قسوة وجهل المنكرين وغبائهم، وانغلاقهم عن التبصير.

-6. **الأمر**:

يعتبر أسلوب الأمر من أساليب الإنشاء التي تدل على طلب القيام بالفعل، قال السكاكي: "للأمر حرف واحد هو اللام الجازم في قولك: ليفعل وصيغ مخصوصة"[38]، وقد جاء الأمر في نص سورة المرسلات المباركة في أربعة مواضع في سياق الآيات الكريمة الآتية وهي:

- قال تعالى: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[39].
- قال تعالى: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾[40].
- قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[41]
- قال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾[42]

وقد اختلفت صور دلالات الأمر في سياق الآيات الأربعة التي تكرر فيها من آية لأخرى، ووجهة الخطاب فيه أنها تخاطب فئتين هما الكفار المكذبين في أغلب المواضع وفئة المؤمنون في موضع واحد.

وتظهر أسلوبية الأمر في هذه الآيات الثلاثة المختصة بخطاب الكفار في إظهار صورة التهكم والتحقير والسخرية منهم يوم القيامة، أي انطلقوا إلى عذاب جهنم الذي كنتم تكذبون به في الحياة الدنيا وهذا الكلام تقوله لهم خزنة النار تقريعًا لهم وتوبيخًا[43].

أما أسلوبية الأمر الثاني فتظهر في التوضيح لما ذكر من الأمر الأول، حيث صورت شكل العذاب الذي أشارت إليه في السياق السابق، خاصة وأن الآيتين متعاطفتين فقال تعالى في الآية التالية: ﴿ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾[44]، أي انطلقوا واذهبوا فاستظلوا بدخان كثيف من دخان جهنم يتفرع منه ثلاث شعب، أي لا يظل من يكون تحته، ولا يقيه حر الشمس كما هو حال

الظل الممدود، ولا هو يدفع ألسنة النار المندلعة، فمن وراء ذلك التوضيح الذي أشارت إليه الآية الكريمة الثانية تبرز أسلوبية بديعة تظهر في كشف صورة العذاب، وحال أولئك المكذبين به في الدنيا، وكيف تكون حالتهم في أثناء ذهابهم ليستظلوا من لفح عذاب جهنم، فالصورة من أبلغ صور التوضيح والوصف والكشف.

أما الأمر في الآية الثالثة من مجموع الآيات التي ورد فيها، فإنها تنتقل من التعامل مع الكفار والحديث عن مآلهم إلى التعامل مع المتقين، وتبين جزائهم وتُبْرِزُ أسلوبية الأمر في هذه الآية الانتقال من الخطاب التهكمي والإستحتقاري والمنكر إلى الأسلوب الهادئ الوادع اللين واللطيف، الذي يكشف كرم الله تعالى مع عباده المؤمنين المتقين الذين لم يكذبوا به، واتبعوا رسله فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾[45] فالظلال الأولى تخالف ظلال المكذبين، والعيون تخالف الشرر المتطايرة من عيون النار فالخلاف ظاهر في الانتقال المباشر في وجه التعامل مع الفئتين بين الكفار والمؤمنين.

أما الأمر الذي جاء في سياق الآية في قوله تعالى:﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾[46]، فهي مختصة بالحديث عن الكفار المكذبين المنكرين، وهنا تبرز أسلوبية الالتفات في الخطاب التقابلي بين المؤمنين والكفار، فدلالة الخطاب الأمري في آية المؤمنين في قول الله تعالى:﴿ لُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[47]جاء ت للمدح والثناء الطيب والفرح والتهنئة بالفوز الذي يتقرر معناه مباشرة بكلمة "هنيئا" الدالة على الفوز، أما في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾[48] فقد استوت مع الأولى في الأكل والتمتع ولكنها اختلفت في جنس المخاطب، وجنس زمن ومقام الأكل وإثبات الصفة، فبعد قوله تعالى﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ [49] أكد على صفتهم فقال: ﴿إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾[50]وهنا تختلط الدنيا بالآخرة في فقرتين متتاليتين، وفي مشهدين معروضين كأنهما حاضران في أوان، وإن كان الفارق بينهما شاسع فبينما الخطاب الأول موجه للمتقين في الآخرة، إذ هو موجه للمجرمين في الدنيا، وكأنما يقال لهم: اشهدوا الفارق بين الموقفين، وكلوا وتمتعوا قليلا في هذه الدار لتحرموا وتعذبوا طويلا في تلك الدار[51] أي أن الأكل والاستمتاع مقصور على الحياة الدنيا فقط لا غير، فهو ينتهي بانتهاء آجالهم، لأنهم مجرمون لا يستحقون الإنعام والتكريم كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[52] .

6-.التأكيد:

وهو تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره[53]، وقد ورد في سورة المرسلات المباركة باستعمال أداة التوكيد "إن" في ثلاثة مواضع من قوله تعالى:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ [54].

قال تعالى:﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[55].

قال تعالى:﴿ إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾[56]

تكرر التوكيد بأداة "إن" في سياق هذه الآيات الثلاثة مبينًا أغراضًا أسلوبية أهمها: الإخبار بالحقيقة الحتمية والمنزلة المعدة للمتقين، والإشارة المباشرة التي لا تقبل أدنى شك، فالقيمة الأسلوبية من وراء هذا التأكيد هي بث اليقين في نفسية المؤمنين، أما التأكيد في الآية الثانية فهو يبين العهد والوعد الذي وعد به الله تعالى المتقين وعهد منه بالتأكيد أن يبلغه عباده الصالحين، وأما التأكيد الثالث فهو خاص بالمكذبين حيث يصفهم بالإجرام، وهي صورة تشنيع وهنا تبرز لطائف الأسلوب في الانتقال من صفة الإكرام إلى صفة التشنيع والتحقير.

7-.الفاصلة القرآنية:

تنقسم الفاصلة في هذه السورة الكريمة إلى أكثر من أربعة فواصل أو أنساق، وكل نسق يعبر عن المعنى الذي يحمله.

فنجد النسق الأول قد ورد على حرف الألف الساكن وهو مهموس، ومع الهمس شدة وانفجار فيحقق الهمس أزيزًا فيه شدة راعبة، أما الانفجار فيحقق حينما ينطق على جميع أعضاء الفم، مع خروج كمية من الهواء، وقد ترددت فاصلة الألف في ست آيات وهي "عرفا"، "عصفا"، "نشرا" و"فرقا" "ذكرا""عذرا" "نذرا" وجاءت هذه الفواصل في صورة وزن المصدر الذي تنطلق منه معاني ودلالات هذه الكلمات[57].

أما النسق الثاني فقد وردت الفواصل في صورة التاء في الكلمات من الآيات الكريمة وهي "طمست"، "فرجت"، "نسفت"، "أقتت"، "أجلت" في خمس كلمات، وقد وردت هذه الفاصلة على وزن فُعِلَتْ وفُعِّلَت، في صيغة المبني للمجهول، فجاءت في المعنى بين التضعيف والتشديد زيادة في قوة المعنى وما تبينه[58].

وفي النسق الثالث، وردت الفواصل في صورة النون في مواضع كثيرة ومختلفة مرّة سبق بحرف الواو، ومرّة سبق بحرف الياء، وصوت النون من الأصوات التي كان لها حضورها على مستوى القرآن جميعه، لأنّه الصوت الذي يتصف بالغنة مع صوت الميم، وهذا ما يزيد من الإثارة النطقية والتنبيه والتدبر فيما يعرضه الله عز وجل في محكم تنزيله، خاصة إذا ما سبق هذا الحرف بحركة طويلة الواو أو الياء، ويتصف بأنّه صوت أنفوي لثوي[59] ومن صور وروده ما يلي: "المكذبين، الأولين، الآخرين المجرمين، المكذبين، مهين، مكين" وفي مواضع أخرى وردت متفرقة بين سياق الآيات الكريمة في نفس الصورة، ومنها ما جاء مسبوقًا بضم ممدود من الكلمات الآتية: ينطقون، يعتذرون، فكيدون، عيون يشتهون، تعملون، مجرمون، يركعون، يؤمنون، فالفاصلة الأولى من النون وردت في صيغة اسم الفاعل والصفات التي تعطي دلالات المعنى من وراء نهاية سياق الآية الكريمة التي تقف على هذا النمط من الفواصل، أما في النمط الثاني فقد جاءت على صورة "يفعلون" و"تفعلون."

8– العدول:

وصورته من المضارع إلى الماضي، وقد ورد هذا النمط من العدول في بعض الآيات التي تتحدث عن الساعة وأهوالها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[60] فقد استعمل التعبير القرآني الفعل الماضي، بدلا من المضارع، ومفاده البلاغي هو تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي وفي هذا إشارة أسلوبية تتمثل في استجلاب صورة ما هو واقع ولم يحدث بعد من خلال الوصف والسرد القرآني للحوادث، وإحضاره في شكل وصف مبدئي تصوري لذهن القارئ، والسامع حتى تتحرك العقول وتتعظ الأنفس.

وقد ورد العدول متعاطفًا في سياق الآيات المتوالية من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾[61] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[62] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[63] فالأفعال "فرجت، نسفت، أقتت" كلها في الماضي تدل على وقوع أحداث المستقبل المصور في الحال، فأسلوبية العدول في هذه السورة هي في صورة الاستجلاب أي الاستحضار لما هو كائن مقرر في الآخرة حتى تتضح معالم الدراية للمكذبين فتتنبه عقولهم وتتحرك بصائرهم[64].

•الطباق:

وقد ورد في قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾[65] وقيمته الدلالية الأسلوبية في الإيقاع الذي يتحقق المعنى منه، تحقيقًا مطلقًا وإن كان اختيارًا بين الكلمتين.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾[66]. أحياءً وأمواتًا.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾[67] بين الأولين والآخرين، فالسمات الأسلوبية الدلالية التي تظهر من خلال هذا الطباق الوارد كله هو إعطاء العقل تنبيها للتذكر والاستيقاظ والخروج من دائرة الغفلة إلى دائرة التبصر وحثه على التفكير فالإيقاع الناتج له صفة النفاذية التي تقرر الميل الحسي إلى المعنى لهذه الكلمات وهو ما يحدث التأثير[68].

•الجناس غير التام: بين لفظتي "مهين" و"مكين" فالإيقاع المنبعث من فواصل الكلمتين تبعث تحريكًا داخليًا في العقل والنفس من خلال استقبال هذا الكلام الرباني في قالب أسلوبي تأثيري.

•التشبيه المرسل المجمل: من قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾[69] والمرسل المفصل في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ ﴾[70].

•المقابلة: بين نعيم الأبرار وعذاب الفجار﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾[71] قابل ذلك بقوله تعالى:﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾[72] فالوجه الأسلوبي لكل من التشبيهين السابقين هو إبراز الصور الوصفية لكل آية حيث يصف المخير به درجات بين الوجه العام وبين الوجه الخاص، وأما المقابلة فتتمثل السمة الأسلوبية لها في الانتقال من جزاء المؤمنين الصادقين إلى جزاء الكفار الكاذبين، وهنا يدخل مجال العقل للتصور والاطلاع على المنزلتين اللتين أقرت بهما السورة المباركة[73].

-8. الخاتمة:

إن الملامح الأسلوبية التي تفردت بها"سورة المرسلات" عن غيرها من السور كثيرة نوجز منها ما يلي:

-1تسمية السورة "بسورة المرسلات" التي ابتدأت بالقَسَم، وما يبين طبيعة التسمية وعلاقاتها مع ما ورد فيها من أساليب إنكار وانتقام ووعد ووعيد وترهيب، وذكرٍ لأحوال الآخرة وجزاء الكفار المكذبين، وجزاء المؤمنين، فنجد أن الحوادث التي حملتها السورة كلها جاءت في تشاكل وتواشج مع الاسم الذي يخاطب

الفكر والنظر، ويحث على ضرورة إعمال العقل، خاصة وأنها من السور المكية التي جاءت لأجل غرض عَقيديٍّ يستدعي ضرورة الإيمان بالله تعالى وقدراته التي لا يتصورها العقل.

-2اختيار الفواصل التي تكررت بنسب مختلفة في السورة خاصة حرف "الراء"، وشحن هذا الفونيم بشحنات أسلوبية أعطت النص القرآني إيقاعًا شديدًا يلائم جو السورة الذي كان مرعبًا، ومفزعًا يهز المشاعر، ويحرك في النفس الرعب والفزع فضلاً عن تحقيق ميزة الانسجام الصوتي، ودقة التناسق الفني في السورة.

-3التفصيل بعد الإجمال "الإطناب" من الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في هذه السورة المباركة مما يجعل التفصيل شرحًا للإجمال، فتكون السورة متماسكة نصيًا، فلم يقتصر القرآن الكريم على أسلوب واحد فقط وذلك لإثارة المتلقي وإمتاعه وتشويقه.

-4احتمال واشتمال الخطاب القرآني في هذه السورة على حرارة وقوة التعبير على المستوى الأسلوبي من صور التهديد، والوعيد والاستنكار والتحقير.

-5ظاهرة العدول التي وظفت الفعل الماضي مقام الفعل المضارع لتقديم حودث المستقبل وتنزيلها منزلة التصور السريع في ذهن المتلقي حتى تتم له المعرفة والإدراك كما اشتملت السورة الكريمة على أصناف أخرى من صنوف آليات الأسلوبية التي تكشف الأسرار والأخبار وأوجه الإعجاز التي حملتها، تقريرًا مع ما تمثله وتحمله من غايات تربط الإنسان برابط يجمع بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ويبين نمط العمل والاعتقاد الذي يصل لكل منزلة، وإن كنا اقتصرنا في دراستنا على بعض الملامح الأسلوبية فإن باب البحث فيها مفتوح لتلمس باقي الأسرار العظيمة للسورة المباركة .

-9.الهوامش:

_1صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القران الكريم، بيروت، لبنان، ط1981،4،ج3،ص:498.

_2جامع البيان عن تأويل أي القران، الطبري، تح: بشار عواد معروف،عصام فارس الحرستان، الرسالة ط1، 1994، بيروت، لبنان، ص485.

_3الآية: 15، المرسلات.

_4التفسير البنائي للقران الكريم، محمود البستاني، المكتب المركزي لمجمع البحوث الإسلامية، مشهد دط، 1424هـ، ص 131.

_5ينظر: المصدر نفسه، ص132.

_6ينظر: المصدر نفسه، ص133.

_7مفاتح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر، لبنان، ط1، 1981، ج30، ص252.

-8الإتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ج3 ص173.

_9علم اللغة النصي النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء للنشر، القاهرة مصر، ط1، 2000، ص165.

-10رسائل الجاحظ: الجاحظ، تح: الحاجري، النهضة العربية، بيروت، ط1993، ج3، ص181.

-11المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح: بدوي طبانة، دار النهضة، الجمهورية العربية المتحدة، مصر، دط، دت، ص375.

_12معجم التعريفات، محمد الشريف الجرجاني، تح: محمد صديق المنشاوي، دار فضيلة، القاهرة، مصر دط، دت، ص65.

-13الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر دط، دت، ص39.

_14الآية16: المرسلات. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج3، ص476 .

-15الآية14: المرسلات .

-16تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص40.

-17الآية 13-14: المرسلات .

_18مفاتح الغيب، الفخر الرازي، ص253.

_19الآية 52: إبراهيم .

-20الآيات:"8 - 11" المرسلات .

_21الآية: 18: المرسلات .

_22الآية: 46 المرسلات.

_23الآية:43 المرسلات.

_24ينظر: الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية، دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ط1، 1989، ص72.

_25ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، دمشق، ط2، 1969 ج1، ص:125.

_26الآية 112 : النساء.

_27دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، مطبعة الخانجي القاهرة ، ط2008 ص: 173.

_28الآيات: "8-11": المرسلات.

_29ينظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، دار الفكر المعاصر، لبنان 2001، ص:627 .

_30الآية 16: سورة المرسلات.

_31الآية 20: المرسلات .

_32الآية 25: المرسلات.

-33الآية 50: المرسلات.

_34صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني، ج3، ص:504.

_35مفاتح الغيب، الفخر الرازي، ص:284.

_36الآية 50، المرسلات.

_37في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2003، ص: 3795 .

_38مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ص:318.

_39الآية 29، المرسلات .

_40الآية 30، المرسلات.

_41الآية43، المرسلات.

_42الاية46، المرسلات.

_43صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج3، ص:503-504. الاية43، المرسلات.

_44الآي30-31، المرسلات.

_45الاية41، المرسلات.

_46الاية46، المرسلات.

_47الآية 43: المرسلات.

_48الاية46، المرسلات .

_49الاية46، المرسلات

_50الاية46، المرسلات .

_51في ظلال القرءان ،سيد قطب، ص:3494-3495.

_52الاية20، الأحقاف.

_53المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ابتسام نوال عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ص272.

-54الآية 41: المرسلات.

-55الآية 44: المرسلات.

-56الآية 46: المرسلات.

-57ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط1980، ص:137.

-58المرجع نفسه، ص: 138.

-59المرجع نفسه، ص: 139.

-60الآية 08: المرسلات.

-61الآية 09: المرسلات.

-62الآية 10: المرسلات.

-63الآية 11: المرسلات.

-64صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني، ج3، ص: 500 .

-65الآية 06: المرسلات.

-66الآية 26: المرسلات.

-67الآية 16-17: المرسلات.

-68صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني، ج3، ص: 501.

-69الآية 32: المرسلات.

-70الآية 33: المرسلات.

-71الآية 41: المرسلات.

-72الآية 46: المرسلات.

-73صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني، ج3، ص: 503.